

جوزيف عازار.. عصر ذهبي لمهندسي الفن

بيروت - لوريس الرشعيني

الفنان اللبناني جوزيف عازار ابن جزين تلك البلدة المتميزة بموقعها الجغرافي في سفح السلسلة الغربية من جبال لبنان «سفح تومات نيجا» بين الينابيع والشلالات وغابات الصنوبر والشير الشهير، جبلته بمانها وطنها فأكسبته شخصية طيبة مرنة هائلة بالجمال، وصوت عذب كعذوبة مياهها المدفاعة.

كان والده يمتلك صوتاً جميلاً جداً، وكذلك أخواه وأخته، إلا أنه وهو أصغرهم ورث عن والده الصوت الجميل، وتميز بموهبته الإلهية، فانتشرت شهرته باكراً في البلدة والجوار. عمل والده فراناً حيث كان يستثمر فرنًا في بلدته جزين، وبعد سنوات قليلة من ولادة جوزيف نزل إلى بيروت ليعمل في وزارة الاقتصاد، وفي عام 1949 وافته المنية وهو في الخامسة والخمسين من العمر، وكان جوزيف لا يزال طفلاً ابن ثمان سنوات ليتربى يتيمًا بكنف والدته التي عاجلها الموت أيضاً وهي ابنة ستة وخمسين عاماً.

أدخل جوزيف عازار بعد ذلك مدرسة بنظام داخلي وهي «معهد سيدة ممشوشة» في جزين، حيث أكمل فيها دراسته حتى الثانوية العامة، وكان الممثل الشهير في جوقة ذلك المعهد، وكان يلقي اهتماماً وعناية خاصة أنسته شعور اليتيم، وتخرج بعد الثانوية من المعهد عام 1958، لينزل إلى العاصمة بيروت ويزاول مهنة التدريس لخمس سنوات في مدارس بيروت الخاصة، التحق أثناءها بالمعهد الموسيقي العالي الذي كان يديره الفنان وعازف العود الشهير آنذاك فريد غصن الذي كان آتياً من القاهرة إلى بيروت.

عام 1959 تعرف في تلفزيون لبنان على المخرج حليم بجاني، الذي كان حينئذ مسؤولاً عن استديو الفن في التلفزيون. ليشركه بعد ذلك في عام 1960 دور البطولة في عمله المسرحي «برناديت بيرو» بدور الأب بوميان.

وعام 1961 كان لقاؤه الأول مع الأخوين رحباني في إطلالته الأولى على عالم الفن، ضمن إطار مهرجانات بعلبك الدولية في المسرحية الغنائية «بعلبكية» مع السيدة فيروز، وفيها بدأ مشواره الفني الطويل الذي لا يزال يزدهر حتى اليوم.

قدم تسعة أعمال مسرحية مع الأخوين رحباني والسيدة فيروز منها: «عودة العسكر»، «حكاية الأسوارة»، «حصار ورماح»، «جسر العودة». كانت أيام مهرجانات وإبداعات فكان يشترك في العام الواحد بأكثر من عمل مسرحي، اشترك مع روميو لحود في كثير من مسرحياته الغنائية أولها «الشلال» ضمن مهرجانات بعلبك، ألحان الدكتور وليد غلمية، وبطولة صباح، ومسرحية «موال» عام 1965، و«ميجانا» 1966، و«عتابا» 1967 حيث شارك في بطولة هذه الأعمال كل من الشحرورة صباح وناديا جمال. ومسرحية «القلعة»، و«الفرمان» وغيرها من أعماله مع روميو لحود والتي كان آخرها عام 1994 مسرحية «كنز الأسطورة» بطولة صباح.

كما شارك عازار «فرقة الأنوار» بعض أعمالها المسرحية، كمسرحية «أرضنا إلى الأبد» عام 1964 بطولة وديع الصافي وصباح، و«من ليالينا» عام 1971 في مهرجانات قلعة جبيل، أمام فدوى عبيد، ودريد لحام، ونهاد

قلعي، وأبو صياح، وناديا جمال.

وعام 1978 شارك صباح والمخرج والممثل الكوميدي وسيم طيارة، مسرحية «شهر العسل» التي عرضت في كازينو لبنان. وفي عام 1983 مسرحية «برج الذهب» من اخراج ريمون حداد، وفي 1998 مسرحية «البوسطجي» مع كريم أبو شقرا. ليفتتح بعد ذلك صفحة جديدة من حياته الفنية بعمله مع عبد الحليم كركلا في الأوبريت «بليلة قمر» والتي استتبعث بثلاثة أعمال له مع كركلا خلال عشرة سنوات «1999-2009» من التعاون المستمر والأسفار والمهرجانات المحلية والعربية والعالمية. وهذه الأعمال هي «بليلة قمر»، «ألفين ليلة وليلة» التي قدمت في «الأوبرا هاوس» في فرانكفورت بمناسبة يوم الكتاب العالمي، و «فرسان القمر» سنة 2007، و «أوبرا الضيعة» التي قدمت هذه السنة على مدى ثلاث ليال ضمن فعاليات مهرجانات بعلبك الدولية، كما قدمت خلال ليلتين في منطقة جميلة الأثرية الرومانية التي بناها القيصر الروماني كركلا في ولاية سطيف بالجزائر. و «أوبرا الضيعة» ستقدم قريباً في بيروت لتتحرك بعد ذلك في جولاتها العربية والعالمية كالمعتاد، كما ستستمر في فصل الشتاء ولكن مع تعديلات في الإخراج والنصوص.

جوزيف عازار يرى في كل ما قدمه عصره ذهباً له، وهو وجد المجد والمتعة بالعمل مع جميع المطربين والملحنين والموسيقيين، والمخرجين الذين حملوا أعمالهم بصمات خاصة ببريق خاص يتميز بين كل عمل وآخر. ويقول إنهم كانوا أساتذة ومهندسي فن. فهو بدأ وقفة العز مع الرحابنة والسيدة فيروز، ومن ثم انتقل إلى العمل مع روميو لحود وصباح، وبعدها مع الموسيقار وليد غلمية والفنان ذكي ناصيف، والسنوات العشر الأخيرة مع عبدالحليم كركلا وابنه إيفان كركلا، وهو يعتبرها مواسم عز لا تنسى أبداً.

35 عملاً مسرحياً فيها 35 دوراً تمثلياً، يرى فيها جوزيف أدواراً جميلة ومهمة توجت مسيرته الفنية، ورسخت وجوده فنياً، وفي أذهان وقلوب الأجيال، أهمها دور «راجح» في مسرحية «بياع الخواتم» للأخوين رحباني، ودور «هولو» في مسرحية «الليل والقنديل» للأخوين رحباني أيضاً.

ومن ذكرياته الخاصة في بعض الحوادث المسرحية: في مهرجانات بعلبك، دوره كقائد قادم من الصحراء متنكراً بزي تاجر حرير ليحتل القلعة، فيدخل القلعة ويصطدم بالصبوحه فيغني معها، بعد ذلك تدور معركة بينه وبين البطل، وكان مسرح القلعة الخشبي مبنياً فوق بئر ماء عميق وكبير، استفيد منه إخراجياً في أحد جوانب المسرح بضخه ليصبح شلالاً، وكانت خشبة المسرح مليئة بمادة (البودرة) وعليها الماء من البئر، وأثناء معركته مع البطل زلت ساقه بالقرب من فتحت البئر، وكان بينه وبين الموت أقل من خطوة.

لقد كان زمن العمل الجماعي والتعاون والصدقات الفنية التي تمتد إلفه ومحبة إلى عائلات الفنانين، يقول جوزيف لـ «أوان»: «كنا نحن زملاء الفن نمضي غالبية أوقاتنا مع بعضنا، روميو لحود وسمير يزبك وعصام رجي، وكثيرون غيرهم كنا عائلة واحدة، نتشارك النزهات والموائد وسهرات الطرب التي لا تنضب».

وفي الغناء المنفرد، ففي رصيد جوزيف عازار ما بين «500 و600» أغنية منفردة، أشهرها: «أذكر يوماً زرت يافا» للأخوين رحباني، التي اشتهرت كثيراً في الستينيات، وصورت للتلفزيون، ووزعت على كل إذاعات وتلفزيونات الوطن العربي، «بكتب أسمك يا بلادي» كلمات وألحان إيلي شويري، «يا عمي يا بو نايف» كلمات توفيق بركات وألحان فيلمون وهبي، «ياريت بتلاقيني» كلمات وألحان الياس الرحباني، «على بالي» كلمات وألحان روميو لحود، والتي احتلت المرتبة الأولى في الأغاني الشعبية سنة 1973. إضافة إلى أغاني حملت اسم كبار الشعراء والملحنين أمثال: الشاعر جورج جرداق، الدكتور الموسيقي وليد غلمية، شفيق المغربي، مورييس عواد، وغيرهم. كما أدى الغناء الثنائي كاسكتشات في إذاعة لبنان، مع سعاد محمد، ونجاح سلام.

لقد غنى عازار في أهم وأعرق المسارح العالمية: 1961 في البرازيل والأرجنتين وبريانتو «المسارح الوطنية»، مسرح «الألبرت هول» في لندن، مسرح «روداك» في طهران، و«أولمبيا» في باريس، «قصر الفنون» في بروكسل، وكبريات المسارح في أميركا اللاتينية، وأستراليا، ولاس فيغاس، والصين إضافة إلى بلدان الشرق الأوسط، وأفريقيا، ودول الخليج العربي.

وقد نال عازار عدة دروع تكريمية وأوسمة من مختلف بقاع العالم، أهمها: وسام الاستقلال الأردني عام 1972، ومواطن شرف أميركي في اليوبيل المئوي الثاني لاستقلال الولايات المتحدة الأميركية، درع المقربين لمرتين متتاليتين، درع مركز التراث العربي بكندا (تورونتو) 2002، درع تكريمي من بلدية جزيين 2003، درع مهرجانات جميلة الدولية في الجزائر 2006، وغيرها من الدروع والأوسمة في احتفالات ومهرجانات عدة.

ولقد لحق الشعب بالركب، فأبناء الفنان جوزيف عازار كلهم فنانون وموسيقيون، ابنه بيارو عازف غيتار وأستاذ موسيقى في المعهد الأنطوني، ويملك مدرسة خاصة لتعليم الموسيقى «دوري، مي» بمنطقة أدونيس، وابنه ناجي أستاذ حائز على دبلوم بالعزف على آلة الكمان من جامعة الروح القدس، ودبلوم من المعهد الوطني العالي للموسيقى (الكونسرفتوار) وهو أستاذ للكمان في جامعة روح القدس والمعهد الوطني، وعازف في الأوركسترا السمفونية اللبنانية، في العزف الغربي والشرقي. أما ابنه كارلوس فهو حائز على دبلوم في التمثيل من الجامعة اللبنانية ولديه مشاركات في عدد من المسلسلات التلفزيونية («مالح يا بحر»، «فاميليا»، «كبرياء وندم»، «زمن الأوغاد»، «عصر الحريم») إضافة إلى تجربته في تقديم البرامج من خلال البرنامج الصباحي على شاشة الـ «O TV»، كما أنه درس الموسيقى على مدى خمس سنوات. وكذلك ابنته كارلا فهي عازفة بيانو. وهو يرى أن لزوجته سامية أبو منصور فضلاً كبيراً في عطاءاته ونجاح عائلته، لأنها قامت بدور الأم والأب خلال أسفاره وازدحام أعماله الفنية.

ويفضي عازار لـ «أوان» في الختام: «لدي ثماني أغان جديدة جاهزة للتسجيل، وما ينقص هو شركة الإنتاج، نحن جيل العصر الذهبي للفن في الوطن العربي نهتم بأنفسنا، والدولة لا تهتم فينا، هي فقط تمنحنا دروعاً وأوسمة» ويختتم: «ربما المستقبل يبشر بالخير، فنقابة الفنانين في لبنان قفرت قفزة نوعية بإنشاء صندوق التعاضد، وهناك مساع لتأمين طبابة الفنان وشيخوخته، ونأمل خيراً».

تاريخ النشر : 18-11-2009